مقالات المهدي البوعبدلي في مجلة الأصالة.

أ. حبيب بوزوادة،
أستاذ محاضر قسم -أ-،
جامعة معسكر،
habibbouzouada@gmail.com

الملخص:

يعدّ الشيخ المهدي البوعبدلي واحدا من رموز المعرفة التاريخية في الجزائر، فقد تمكّن هذا الباحث الذي تشبّع بحب الثقافة الجزائرية من تكوين نفسه، وتأسيس مكتبة ضخمة تعدّ من أكبر المكتبات الشخصية في الجزائر، تحتوي على الكثير من المخطوطات في الدين والتاريخ واللغة والمنطق وغيرها، كما قام بنشر العديد من هذه المخطوطات، وتقديمها إلى القراء، مع كتابة العشرات من المقالات في تاريخ الجزائر والثقافة الإسلامية. ومعظم هذه البحوث منشور في مجلة الأصالة الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية. إنّ هذه البحوث هي التي أعمل على تقديمها إلى القراء في دراستي هذه، ضمن قراءة ببليوغرافية توثيقية.

Articles of Al-Mahdi Al-Bouabdli in Asala Journal.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، الثقافة، مجلة الأصالة، المهدي البوعبدلي، التاريخ.

Abstract:

Sheikh Al-Mahdi Al-Bouabdli is considered one of the symbols of historical knowledge in Algeria. This self-fulfilling man, who is full of the love of Algerian culture, has been able to establish himself and establish a huge library, one of the largest personal libraries in Algeria, containing many manuscripts in religion, history, language, logic, He has published many of these manuscripts and submitted them to readers, with dozens of articles written in the history of Algeria and Islamic culture. Most of the research is published in the Asala Journal of the Ministry of Religious Affairs. It is this research that I submit to readers in my two papers, in a bibliographical bibliography.

Keywords: Algeria, Culture, Al-Asala Journal, Al-Mahdi Al-Bouabdli, History.

تمهيد:

تعدُّ كتابات الشيخ المهدي البوعبدلي على صفحات مجلة (**الأصالة**) وثيقة مهمّة ومرجعًا أساسياً لكلّ من يبحث في الشأن الثقافي الجزائري، فهي تقدّم مادة علمية ومعرفية نادرة في مجالات الفكر والتاريخ والإسلاميات وغيرها، مستمِدّة تميّزها من شخصية كاتبها، الذي عُرف بسعة اطلاعه، وموسوعية ثقافته، وامتلاكه لنفائس المخطوطات ونوادر المؤلّفات، ولهذا يصعب علينا تصنيف المادة العلمية التي كتبها تصنيفاً دقيقًا.

فرغم غلبة روح المؤرّخ على كتابات الشيخ البوعبدلي إلاّ أنّ موضوعاته لم تنحصر في مجالٍ بحثيٍّ واحد، فهي ثرية ومتنوّعة جدًّا تنوّعَ ثقافة الرجل، وتنوّع أسئلة المرحلة التي كتب فيها على صفحات (**الأصالة**) الممتدّة من1971 إلى 1980، وهو ما يستدعي منهجية منضبطة تجمع بين الوصفية والتحليلية، في سبيل الكشف عن القيمة التاريخية لهذه الوثائق، وإبراز المعلومات القيّمة التي حوتها، ضمن خطّة مبدئية تتوزّع بعد المدخل إلى أربعة مطالب وخاتمة.

نبذة عن مجلة الأصالة

عرفت الجزائر خلال حقبة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين صدور عدد من المجلاّت العلمية الرصينة التي كانت تنشر بحوثاً مهمّة، وقدّمت الكثير من الباحثين الناشئين في الثقافة والفكر والإبداع، وأبرز تلك الإصدارات ثلاثة:

- مجلة (**الثقافة**) التي كانت تصدرها وزارة الثقافة، ويقف وراءها الوزير أحمد طالب الإبراهيمي،
- ومجلة (**آمال**) التابعة لاتحاد الكتاب الجزائريين، وهي خاصة بأدب الشباب، برئاسة الروائي الكبير مالك حداد،
- ومجلة (**الأصالة**) الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية.

تأسست مجلّة الأصالة على يد وزير الشؤون الدينية والتعليم الأصلي الأستاذ (**مولود قاسم نايت بلقاسم**)، الذي أرادها أن تكون النافذة العلمية للجزائر، يطلّ عبرها المثقفون والمفكرون والمستشرقون والمستنيرون من جميع أنحاء الدنيا على المخزون العلمي والثقافي والديني للشعب الجزائري، استكمالاً للاستقلال الوطني، عبر التأكيد على الهوية الجزائرية بكلّ مكوّناتها وأبعادها، فكانت الأصالة تنشر في مختلف الموضوعات التي تخدم هذا الجانب، فتحتفي بمختلف الرموز الإسلامية الجزائرية، قديمها وحديثها، وبالثقافة الأمازيغية وأعلامها، بل إنّ هذه المجلة رغم صدورها في فترة الأحادية السياسية

والإيديولوجية، إلاّ أنها –والحقيقة تُقال- كانت أكثر انفتاحاً من الكثير من المجلاّت التي تصدر اليوم في عهد الديمقراطية وسقوط الفكر الأحادي!! وإلاّ كيف نفسّر نشر المجلة مقالات لشخصيات علمية جزائرية من مشارب فكرية مختلفة، ففي العدد الرابع والأربعين مثلاً نقرأ بحوثاً لكلٍّ من أحمد توفيق المدني ابن جمعية العلماء المسلمين، والمهدي البوعبدلي ابن الطريقة الدرقاوية، ومحمّد أركون المفكّر العلماني المعروف. وهو ما يؤكّد أنّ الخط الذي كانت تسير عليه المجلة هو أن تكون حلبة لتدافع الأفكار، وتلاقح الرؤى، بعيداً التكفير والتخوين والإقصاء.

وقد ساعد هذا الخط المعتدل بالإضافة إلى المساندة القوية من الوزير مولود قاسم على جعل (الأصالة) تحتل المكانة العلمية التي بلغتها، من حيث الحمولة المعرفية للأبحاث المنشورة فيها، ومن حيث القيمة العلمية للشخصيات التي كانت تكتب على صفحاتها، بدءًا من عددها الأول سنة 1970 إلى غاية عددها (91) والأخير سنة 1981، والملاحظ أنّ العدد الأوّل قد صدر تيمّناً بالهجرة النبوية فوافق محرّم سنة 1391هـ، وكتب فيه بالإضافة إلى العلماء والباحثين رئيس الجمهورية -أنذاك- هواري بومدين.

وقد كانت تصدر أوّل أمرها مرة كلّ شهرين، ثمّ أصبحت شهرية بدءًا من العدد الرابع، غير أنّها لم تحافظ على انتظامها بسبب انشغالات الوزارة بتحضير ملتقيات الفكر الإسلامي السنوية، فصرنا نجدها تصدر أحياناً في مجلد يضمّ عددين معاً، مثل العددين (14-15) و(29-30) و(49-50)، ومن أبرز من كتب فيها الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم، وعمار الطالبي ويحيى بوعزيز وأبو القاسم سعد الله والمهدي البوعبدلي ومحمد الميلي ومولاي بلحميسي وسليمان بن داود وعبد المالك مرتاض وعالم اللسانيات عبد الرحمن حاج صالح وأحمد طالب الإبراهيمي وعبد الرحمن الجيلالي ورابح بونار وعبد المجيد مزيان ومحمد العربي ولد خليفة وآخرون، بالإضافة إلى كوكبة من الباحثين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مختلف المذاهب والطوائف، وحتى من المستشرقين المهتمين بالحضارة الإسلامية واللغة العربية.

وقد كانت مجلة الأصالة تواكب باستمرار ملتقيات الفكر الإسلامي، فتخصص أعدادا خاصة تضمّ مختلف المداخلات والصور والأصداء.

ترجمة الشيخ المهدي البوعبدلي[1]

ينتمي الشيخ المهدي البوعبدلي إلى أسرة علمية ودينية عريقة بمنطقة (الشلف)، ينتهي نسبها إلى الولي الشهير أبي عبد الله محمد بن المغوفل المتوفى سنة 1023هـ،[2] عُرف أفرادها بالجهاد ومقاومة الاحتلال الفرنسي، خصوصاً في عهد الأمير عبد القادر، حيث بقي أفراد العائلة أوفياء للأمير، حتى بعد أن تخلى عنه عرشهم بالشلف ممّا اضطرهم إلى الرحيل إلى تلمسان وتحديدا بين (الرَّمْشي) و(الغَزَوات)، ويعدّ الشيخ عبد القادر [1865-1952][3] (والد المهدي البوعبدلي) من العلماء العبّاد، فقد درس في مسقط رأسه بندرومة، ثمّ واصل تعليمه بالمغرب إلى أن التحق بالقرويين، بعد عودته إلى الجزائر عمل في تحفيظ القرآن وتدريس العلوم الشرعية بـ(بطيوة)، وأسس زاويته الشهيرة هناك.

أمّا الشيخ المهدي فولد سنة 1907م، واستفاد علمياً ودينياً من والده، لكنّه فضّل أن يستزيد من المعارف عبر التحاقه بجامع الزيتونة في تونس، الذي كان يعدّ أفضل تعليماً وأكثر انفتاحاً من القرويين، وهناك تعرّف على الكثير من الطلبة الجزائريين أمثال الشيخ أحمد حمّاني، والشيخ علي المغربي وآخرين، واحتك برموز الحركة الطلاّبية ممّا جعله يطوّر مداركه العلمية، ويطعّم ثقافته الدينية، وهو ما جعله أكثر تميّزاً عن نظرائه من أتباع الطرق الصوفية.

عمل الشيخ المهدي مفتياً بمدينة بجاية، ثمّ بالشلف، وبعد الاستقلال عيّن عضواً بالمجلس الإسلامي الأعلى، كما تولّى الإشراف على الزاوية البوعبدلية عقب وفاة شقيقه عبد البر سنة 1974، وقدّم العديد من المحاضرات في ملتقيات الفكر الإسلامي السنوية، وكتب بحوثاً كثيرة في مجلتي الأصالة والثقافة، كما تميّز الشيخ بجمع المخطوطات وبذل النفيس في سبيل تحصيلها، حتى استطاع أن يكوّن مكتبة كبيرة، كانت معينا للكثير من الباحثين والمؤرخين، وصفه أبو القاسم سعد الله بالقول: "كان ولوعاً بجمع الوثائق والمخطوطات، وعالماً واسع الاطّلاع غزير المعارف، وله ذاكرة قوية تسعفه عند الحاجة لاستحضار الأحداث والتواريخ والأسماء"[4]

وبالإضافة إلى عشرات البحوث والمقالات والمحاضرات حقّق الشيخ المهدي البوعبدلي كتابين هما:

- دليل الحيران وأنيس السهران في فتح وهران للزيّاني
- الثغر الجمّاني في ابتسام الثغر الوهراني، لأحمد بن سحنون الراشدي

وخلال فترة الثمانينيات تمكن المرض من الشيخ المهدي البوعبدلي وحاول العلاج داخل الوطن وخارجه، ولكن الأجل وفاه سنة 1992م عن خمسٍ وثمانين سنة، رحمه الله وطيّب ثراه.(5)

مجالات كتابة المهدي البوعبدلي في الأصالة

لقد كان الشيخ المهدي البوعبدلي من كتّاب (الأصالة) المداومين، حيث نحصي له تسعة وعشرين بحثاً على مدى تسعة أعوام، تمتد ما بين 1972-1980. مع تسجيل غيابه عن الأعداد التي صدرت في السنة الأولى للمجلة (1970) وعن الأعداد السبعة الأخيرة، ربما بسبب المرض الذي لازمه خلال الثمانينيات وأودى بحياته رحمه الله.

وتكتسب مقالات المهدي البوعبدلي أهميتها وتميّزها من شيئين اثنين:

أوّلهما من موسوعية الرّجل، وثقافته الكبيرة، فبالإضافة إلى العلوم الشرعية والدينية التي اكتسبها بحكم انتسابه إلى الطريقة الدرقاوية، وتخرّجه من الزوايا الشرعية ولاحقًا من جامع الزيتونة، فإنّه كان متضلّعاً في اللغة الفرنسية، ومطلّعاً على العالم بفضل أسفاره ورحلاته، وهو ما فتح له كوّةً على ثقافات أخرى، ومكّنه من تكوين نفسه علمياً ومعرفياً بشكل أفضل.

وثانيهما امتلاكه لثروة مكتبية هائلة جعلته يضع يده على نفائس المخطوطات وذخائر الكتب، فقد ورث عن والد مكتبة هامة استطاع أن ينميها بالشراء والاستنساخ،(6) وهو ما منح بحوثه صدقية أكبر، لكونها تستند على رصيد بيبليوغرافي معظمه مخطوط ليس متاحاً للكثير من الباحثين.

فهذه الأسباب وغيرها جعلت الشيخ المهدي البوعبدلي من كتّاب الأصالة المتألقين، بتسعة وعشرين بحثاً، على مدار تسعة أعوام، كما يظهر في الجدول الملحق في آخر البحث، والملاحظ على هذا الجدول غزارة مادته البحثية التي توزّعت على تسعة وعشرين مقالاً، ابتداءً من 1972، أي عندما بلغ الشيخ من العمر 65 سنة، علماً أنّ آخر مقالاته نشرها عند بلوغه الثالثة والسبعين من العمر، كما نشر في العدد 28 ثلاثة بحوث مرة واحدة.

أمّا من حيث التوزيع السنوي فنجد أنّ كتاباته -رحمه الله- تختلف كميًا من سنة لأخرى كما يظهر في الجدول الملحق بآخر البحث.

أمّا من الناحية الموضوعاتية فنجد المقالات ثرية المحتوى متنوّعة الموضوعات، لا تنحصر في مجال بحثي واحد، إلاّ أنها في معظمها تختص بالثقافة الجزائرية وتاريخها بنسبة

بلغت 75,86% (22 بحثاً من مجموع 29)، ومن جملة الموضوعات التي تطرّق إليها الشيخ المهدي البوعبدلي نجد:

01. التعريف بالمدن والبلدان والأماكن:

وهو الموضوع المفضّل بالنسبة للشيخ البوعبدلي، حيث كتب ثلاثة عشر بحثا في التعريف بالأماكن والمدن والبلدان، بنسبة تقدّر بـ44,82%، وهي نسبة تعكس الأهمّية التي يوليها البوعبدلي للمكان، باعتباره الفضاء الذي تجري عليه الأحداث والوقائع والمتغيّرات، فهو الثابت الوحيد في سيرورة الأحداث التاريخية المتعاقبة، ولم تخرج بحوث البوعبدلي عن الجغرافيا الجزائرية إلاّ في مقالتين تعرّض فيهما لتاريخ الساقية الحمراء ووادي الذهب، وذلك في غمرة الانسحاب الإسباني من الصحراء الغربية، ودخول القوات المغربية إليها،[7] أمّا باقي المقالات وعددها (11) فكلّها خاصة بتاريخ الجزائر، وتاريخ مدنها وحواضرها العلمية والثقافية.

فكتب عن تاريخ الجزائر في أربع مناسبات، وكتب في سبع مناسبات أخرى عن بعض المدن والمناطق الجزائرية ذات الأهمية التاريخية والعلمية وهي: وهران والقبائل، بجاية، تلمسان، بونة (عنابة)، الدولة الرستمية (تيهرت)، أرزيو، الهقار.

02. موضوع الأعلام والشخصيات:

وهو موضوعٌ لا يقل أهمية عن سابقه بالنسبة للشيخ البوعبدلي، حيث كتب أحد عشر بحثاً في التعريف بالشخصيات العلمية والتاريخية التي تركات بصماتها في الجزائر وفي غير الجزائر، بما يعادل 37,93% من مجموع مقالاته، وهي نسبة مهمّة تعكس مدى وعي المؤرّخ بأهمية الإنسان في صناعة الأحداث وصياغتها، فالحادثة التاريخية تجري نتاج معادلة (الإنسان + المكان)، وهما اللذان استأثرا بالنصيب الوافر في الكتابة التاريخية عند البوعبدلي.

وفي هذا الشأن يظهر بوضوح اهتمام الشيخ البوعبدلي بالرموز الوطنية والإنسانية، ومدى تأثيرها في الحياة، ومجريات الأحداث، فوطنياً خصّص مقالات تعرّف بكلٍّ من: بعض مشاهير علماء زواوة، والأمير عبد القادر، والشيخ الحداد، والطاهر الجزائري، وابن خميس التلمساني، وعبد الكريم بن الفكون، وعبد الرحمن الأخضري وأحمد الونشريسي ومن خارج الجزائر عرّف بكلٍّ من: المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشوفسكي، والشيخ محمد عبده، والمصلح جمال الدين الأفغاني.

03. **موضوع الكتب والمكتبات**:

إنّ ولع الشيخ المهدي البوعبدلي وحبّه اللامحدود للكتب والمكتبات، وتفانيه في جمع نوادر المؤلفات واستنساخها انعكست على طبيعة كتاباته، التي تزخر بالمصادر والمراجع والوثائق النادرة أو المخطوطة، بما أعاد الحياة للكثير منها بعد أن طواها النسيان، وفي مقالاته التي كتبها في **(الأصالة)** نجده يذكر العديد من تلك الكتب ويعرّف بها في سياق التعريف بمؤلفيها، مثلما فعل مع منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية لابن الفكون القسنطيني، أو الثغر الجمّاني في ابتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي، أو مذكرات الأمير عبد القادر، وغيرها، كما خصّص بحثاً مطوّلاً في مقالين بعنوان: (مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ نشأتها وتطورها) نشر الأول في العدد 7، سنة 1972، ونشر الثاني في العدد 11 سنة 1972.

إنّ تخصيص مقالين لموضوع الكتب والمكتبات لا يعني أبداً أنّه موضوع ثانوي بالنسبة للبوعبدلي، بل إنّه موضوعه الأثير وميدانه المفضّل، ولكنّه كان يتطرّق إلى الشأن المكتبي مستطرداً ضمن مقالاته المختلفة، وبحوثه الكثيرة، كلّما سمحت المنهجية بذلك.

04. موضوعات **مختلفة**:

من ضمن البحوث التسعة والعشرين التي نشرها البوعبدلي في **(الأصالة)** نجد ثلاثة لا ترتبط موضوعياً ببعضها، فوسمتُها "موضوعات مختلفة"، وهي:

- البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ، العدد 28، سنة 1975،
- انطباعات عن ملتقى الدراسات العربية والإسلامية بمعهد تكوين الدعاة للجامعة السيفية ببومباي، العدد 33، سنة 1976،
- نشاط البحوث التاريخية حديثا في البحر الأبيض المتوسط وفي العالم، العدد 57، سنة 1978

القيمة العلمية لمقالات المهدي البوعبدلي

القيمة العلمية لأي بحث جاد تتحدّد بقيمة مصادره، ومدى تنوّعها وثرائها، كما تتحدّد بطبيعة المقاربة، ومدى موضوعيتها وقدرتها على تحليل المعطيات والوصول بها إلى النتيجة المنطقية التي تعضدها الأدلة والوثائق، وليس الذاتية أو الأفكار المسبقة، وهذه السمات كلّها لا تعوز أبحاث الشيخ المهدي البوعبدلي، بل إنّها ظاهرة في أعماله، جليّة في أبحاثه.

فمن الناحية الببليوغرافية نلمس اهتمامًا كبيراً من البوعبدلي بإثراء مصادره وتنويعها، فرغم أنّه لا يُذيّل بحوثه بقائمةٍ للمصادر والمراجع، إلاّ أنّها غنية بالاقتباسات من الكتب القديمة والحديثة، العربية والغربية على السّواء، وقد ساعده إتقانه اللغةَ الفرنسية على الاستفادة من الدراسات والوثائق المكتوبة بها، فلو تتبعنا -على سبيل المثال- بحثه المعنون بـ "لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية"[8]، الذي ألقاه في ملتقى الفكر الإسلامي بتمنراست، لوجدناه يتّكئ على أرضية صلبة من المستندات والوثائق التاريخية والعلمية بلغت 16 مصدراً، وهي كثيرة بالنسبة لمقالة من 17 صفحة، خصوصاً أنّ تلك المصادر كلّها أساسية ووثيقة الصلة بالموضوع الذي تعالجه المقالة، إذ تتظافر مادتها العلمية لإعطاء صورة أكثر دقة وموضوعية عن منطقة الهقار من الناحية الجغرافية والتاريخية والاستراتيجية والثقافية.

وعند متابعة هذا البحث ورصد وثائقه نجده عاد إلى المصادر الآتية:

المصادر العربية:

- المسالك والممالك لابن حوقل، المعروف بصورة الأرض.
- المسالك والممالك لأبي عبيد البكري.
- رحلة ابن بطوطة.
- تاريخ ابن خلدون.
- عجائب الأسفار ولطائف، الأخبار لمحمد أبي راس الناصري المعسكري

المصادر الفرنسية:

- تاريخ هيرودوت (*Histoire d'Hérodote*).
- الرّاهب شارل دو فوكو: مذكرات عن الطوارق، لم أجد له كتاباً بهذا العنوان، ولكن له كتابان عن الطوارق وهما: ترانيم الطوارق *(Chants Touaregs)*، والقاموس التارقي الفرنسي *(Dictionnaire touareg-français)*.
- "تاريخ المغرب" للمؤرخ هنري تيراس *Henri Terrasse; Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français*
- "ناسك الصحراء" للصحافي كلود موريس روبير *(L'Ermite du Hoggar)*
- كتاب الصحراء للكاتب إيميل فليكس قوتيي (*Gauthier*) طبع سنة 1904- *Emile-Felix Gauthier; Le Sahara*

- مهمّتا فلاتر للقبطان بروسلار *Les deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar*

الدوريات والصحف:

- جريدة الشعب الجزائرية [بدون ذكر للعدد ولا للتاريخ]
- جريدة لوموند الفرنسية عدد 2 ماي 1979، مقال جان لاروش (*Jane Laroche*) بعنوان *(Prière aux Arméniens)*
- صحف لم يسمّها
- الحرب المقدّسة للسنوسية في إفريقيا الفرنسية (1915-1918)، بقلم الجنرال ميني (*Meynier*)، مبحث منشور في **المجلة الجغرافية لمدينة الجزائر وإفريقيا الشمالية** سنتها الرابعة والثمانين عام 1939.
- ضحايا الصحراء: الماركيز دو موريس (*Le Marquis Do Mores*) بحث منشور في المجلة الجغرافية لمدينة الجزائر وإفريقيا الشمالية بعددها 123 عام 1930.
- رحلة الوالي العام كارد بقلم الجنرال ديشان (*Deschamp*) منشورة في **المجلة الجغرافية لمدينة الجزائر وإفريقيا الشمالية** سنتها الرابعة والثمانين عام 1932، في سنتها السابعة والثلاثين.

غير أنّ الملاحظ هو اكتفاء البوعبدلي بذكر اسم المؤلّف فقط، وقلّما يذكر المؤلِّف والمؤلَّف معاً، فيقول مثلاً: قال ابن خلدون، وقال ابن حوقل وقال هيرودوت. جرياً على عادة القدماء في كتاباتهم، مثلما لا يذكر أحياناً عدد الجريدة التي رجع إليها، ولا تاريخ صدورها بالضبط، وهو ما يربك القارئ غير المتخصص، بل ربّما أشكل الأمر على المتخصصين أيضاً، ولو ذكر المعلومات المتعلّقة بمصادره لأراح قرّاءه، وكان دليلهم إلى نوادر الكتب والمؤلّفات، التي قد تكون مفقودة لديهم.

كما تغيب في بحوث البوعبدلي العناوين الفرعية، إذ يكتفي بالعنوان الرئيسي فقط، ثمّ تأتي بعد ذلك المقالة مجزّأة إلى فقرات، وهو ما يجبر الباحث على قراءة المقالة كلّها أو معظمها ولو كان يبحث عن مسألة جزئية فيها، كما يستخدم طريقة القدامى في الربط بين فقرات البحث بعبارة (ونرجع إلى موضوع كذا)، بدلا من وضع عنوان فرعي يميّز الفقرات بعضها عن بعض، وهذه طريقةٌ في الكتابة أصبحت متجاوزة، وغير مقبولة بحسب القواعد الفنية المعاصرة في كتابة البحوث.

لكنّ هذه الملاحظات الشكلية لا تنقص من قيمة أبحاث البوعبدلي شيئاً، فهو كان يكتب بالأسلوب التقليدي الذي نشأ عليه، جاعلاً همّه الأوّل هو كشف الحقائق التاريخية، وعرض الأحداث كما وقعت بكلّ تجرّد وموضوعية، ومحاولة تفسيرها بربط الأسباب بمسبباتها، مع التقيّد التام بالتوثيق والتزام الأمانة العلمية، حتى مع إغفال بعض المسائل الشكلية التي لا تؤثّر في جوهر عمل المؤرخ.

ومن شواهد إنصاف البوعبدلي والتزامه قواعد البحث العلمي أنه لا يرخي العنان لعواطفه وآرائه الخاصة في الحكم على الأشخاص والأحداث والوقائع، فحينما يتحدّث عن أحد أكبر المنصّرين في منطقة الهقار وهو الأب (دوفوكو) فإنّه يبرّئ ساحته من تهمتي التزوير والكذب اللتين كثيراً ما اتّسم بهما غلاة المعمّرين فيقول: "لم يعتنق دوفوكو أفكار من كانوا يدّعون أنّ التوارق يحملون الحقد للإسلام من عهد الفتوحات،"[9] وهي الكذبة التي روّجها الصحافي (*Gauthier*) وآخرون.

وفي آخر بحث المهدي البوعبدلي عن منطقة الهقار يردّ بطريقة علمية وموضوعية على الكتّاب الفرنسيين المغرضين الذين كانوا يسخّرون أقلامهم لخدمة أجندات كولونيالية، لا تتوانى عن تزييف الحقائق وتشويهها، فيقوم بنقل أقوالهم ثمّ يدحضها بشهادات كتّاب فرنسيين آخرين، مثلما فعل حينما نقل عبارة الصحافي إميل غوتيي (*E.Gauthier*) -مؤلّف كتاب الصحراء- التي تشكّك في إسلام الطوارق وإخلاصهم لدينهم: "إسلامهم ضعيف، سطحيّ، فهم لا يعرفون كلمة عربية –العربية لغة القرآن- وهم لا يصومون شهر رمضان، ونساؤهم متحررات، ولهذا فهنّ أقرب شبهاً بنسائنا.."، فيردّ عليه البوعبدلي بكتابات فرنسي آخر أكثر خبرة منه بالصحراء، وأكثر مخالطة لسكان المنطقة وهو الجنرال ميني (*Meynier*)[10] الذي يعترف بجهاد الطوارق، وباستماتتهم في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، حيث يقول: "كان المحاربون يجتمعون للصلوات على صوت الطبل وأناشيد السلام"[11]

وفي مقالته التي كتبها بمناسبة الذكرى الثمانين لوفاة جمال الدين الأفغاني، يظهِر المهدي البوعبدلي حرصًا آخر على تحرّي الحقيقة حينما يقول معقباً على من قال بأنّ جمال الدين توفي نتيجة مؤامرة: "هذه شائعة لا أثبتها ولا أنفيها"[12]، وهذا التوقف دليل على مدى تثبّته واحتياطه، فهو يرفض أن يجعل رأيه بديلاً عن الوثائق والمستندات التي يعدّها سلاح

المؤرّخ الأول، حيث يقول: "إنّ كثيراً من الكتّاب يرسلون الأقوال على عواهنها، ولهذا ينبغي لنا أن لا نجاريهم في آرائهم ولو خلعوا على أنفسهم ألقاباً لا دخل لها في الموضوع إذ التاريخ وثائق!!" (13)

الخاتمـــــــة:

يعدُّ الشيخ المهدي البوعبدلي موسوعة علمية حقيقية، ومكتبة متنقّلة، تركت بصماتها في الفقه والتصوّف والتاريخ والثقافة بوجه عام، لقد كان الشيخ البوعبدليّ شخصية متحررّة، اجتمعت فيه صفات التسامح والتعايش ونشدان الحقيقة، فرغم انتمائه روحياً إلى الطريقة الدرقاوية إلاّ أنّه كان متطلّعاً إلى ربط جسور مع مختلف الأطياف المشكّلة للمشهد الثقافي الجزائري، فيحضر مهرجاناتها ويحاضر فيها، بجدية وصدق وإخلاص.

إنّ تخصص الشيخ البوعبدلي في مجال البحث التاريخي -بما فيه من جراح وندوب ومآسٍ- لم يؤثّر على مبادئه الدّاعية إلى التسامح والمحبّة التي اكتسبها من التربية الصوفية، ومن تجاربه المختلفة في التعامل مع المدارس والاتجاهات المتعددة، ولهذا السبب كان يعتبر أنّ وظيفة المؤرّخ هي كشف الحقائق، وتوثقيها توثيقاً علمياً، وليس إحياء الأحقاد القديمة يقول: "إنّنا –في عصرنا هذا- نجتاز ظروفاً تسعى في طيّ صفحات التطاحن والخلافات وتستبدلها بالتعاون في الإشادة بالقيم، وبتوحيد الجهود في إحياء التراث العالمي، سواء منه الثقافي والحضاري. والتعاون على نشره وتجريده من الرّواسب التي ساعدت في تضخيمها الأغراضُ السياسية والعقائدية.."(14).

وقد كانت مقالات الشيخ البوعبدلي على صفحات مجلة الأصالة رافداً مهمّا للباحثين والدّارسين وطلاب الحقيقة، بسبب ما تحويه من معلومات قيّمة، خصوصاً في تاريخ الجزائر ما بعد الفتح الإسلامي، فقد قدّم الكثير من الوثائق والمستندات التي تعكس بموضوعية أهمّ المحطات التاريخية التي مرّت بها الجزائر في تلك المراحل من تاريخها، ولهذه الأسباب وغيرها ينبغي الوقوف بتأنٍّ على ما قدّمه الشيخ البوعبدلي في مجال الدراسات التاريخية، ونشره والتعريف به، ونقده إذا تطلّب الأمر، لأنّ الجهود التي قام بها تستحق ذلك بشهادة كبار رجالات التاريخ في الجزائر

قائمة المصادر والمراجع:

- البوعبدلي المهدي: رسائل في التراث والثقافة، جمعها أبو القاسم سعد الله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.
- بوعزيز يحيى: ترجمة الشيخ المهدي البوعبدلي، نقلاً عن موقع ملتقى أهل الحديث (تاريخ التصفّح 2018/02/12) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=184688.
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1401هـ 1981م
- مجلة الأصالة، الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية من 1970-1981 (الأعداد الكاملة، 91 عدداً)

جدول مقالات المهدي البوعبدلي في مجلة الأصالة

الرقم	عنوان المقال	العدد	الشهر	السنة
1	مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ	7	مارس-أفريل	1972
2	أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال	8	ماي -جوان	1972
3	مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ	11	نوفمبر-ديسمبر	1972
4	إغناطيوس كراتشوفسكي وآثاره في ميدان الاستشراق	12	جانفي-فبراير	1973
5	الرباط والفداء في وهران والقبائل	13	مارس-أفريل	1973
6	موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر	-14	جويلية-أوت	1973
7	تراجم بعض مشاهير علماء زواوة القبال الصغرى	-14	جويلية-أوت	1973
8	الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية	19	مارس -أفريل	1974
9	أضواء على تاريخ حياة الأمير عبد القادر وقبل توليته	23	جانفي -فبراير	1975
10	أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ، نبذة	26	جويلية -أوت	1975
11	موقف ملك المغرب من الجزائر إثر الاحتلال	28	نوفمبر-ديسمبر	1975
12	الساقية الحمراء ماضياً وحاضرًا	28	نوفمبر-ديسمبر	1975
13	البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ	28	نوفمبر-ديسمبر	1975
14	الشيخ محمد أمزيان بن الحداد وقضية الحج	30-29	جانفي -فبراير	1976
15	ماضي وادي الذهب والساقية الحمراء وحاضرهما	32	أفريل	1976
16	انطباعات عن ملتقى الدراسات العربية والإسلامية	33	ماي	1976

17	جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر	35-34	جوان-جويلية	1976
18	لمحات من دور الدولة الرستمية في ميادين الحضارة	41	جانفي	1977
19	دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة	44	أفريل	1977
20	عالم جزائري ساهم في إحياء التراث والثقافة	48	أوت	1977
21	أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني	50-49	أوت -سبتمبر	1977
22	عبد الكريم بن لفقون القسنطيني (988-1073)	51	نوفمبر	1977
23	عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر.	53	جانفي	1978
24	جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده عام	55-54	فبراير-مارس	1978
25	نشاط البحوث التاريخية حديثا في البحر الأبيض	57	ماي	1978
26	مدينة أرزيو	59-58	جوان -جويلية	1978
27	تأثير الثقافة والبيئة الجزائريين في شخصية ابن	69-68	أفريل -ماي	1979
28	لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية	72	أوت	1979
29	الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن	84-83	جويلية -أوت	1980

الهوامش:

(1) ترجمة المهدي البوعبدلي بقلم د.يحي بوعزيز، في موقع ملتقى أهل الحديث
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=184688، تاريخ الاقتباس: 2018/02/12.

(2) عن المغوفل انظر تاريخ الجزائر الثقافي (123/2).

(3) ذكر الشيخ المهدي معلومات عن والده وعن عائلته في (رسائل في التراث والثقافة) ص87، وقد ذكر الدكتور يحيى بوعزيز أن الشيخ عبد القادر البوعبدلي (الوالد) توفي سنة 1954، لكننا صوّبنا التاريخ ممّا أثبته ولدُه الشيخ المهدي في رسائله فهو أعرف بأبيه!.

(4) رسائل في التراث والثقافة (قسم الدراسة) ص16.

(5) المرجع السابق ص17.

(6) المرجع السابق ص16.

(7) المقالة الأولى: الساقية الحمراء ماضياً وحاضرًا العدد 28، نوفمبر –ديسمبر، 1975، والمقالة الثانية ماضي وادي الذهب والساقية الحمراء وحاضرهما، العدد 32، أفريل، 1976.

(8) مجلة الأصالة العدد 72، شهر أوت 1979 (اخترت هذا البحث بصفة عشوائية على سبيل التمثيل).

(9) المرجع السابق ص 14.

(10) الجنرال ميني (*Meynier*) كان مفتّشاً عاما على شمال إفريقيا، وسجّل ثورات الطوارق على الإيطاليين ثمّ على الفرنسيين ما بين 1915 و1918.

(11) لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية مجلة الأصالة، العدد 72 أوت 1979 ص12.

(12) دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين، مجلة الأصالة، العدد 44 أفريل 1977، ص35.

(13) لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية مجلة الأصالة، العدد 72 أوت 1979 ص17.

(14) لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية مجلة الأصالة، العدد 72 أوت 1979 ص11.